

صورة العمل في الأمثال الشعبية الجزائرية

Representation of work in the popular Algerian proverb

فطيمة ديلمي

المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ/الجزائر

Fa.dilmi@yahoo.fr

تاريخ الإستلام: 2021 / 08 / 24 تاريخ القبول: 2021 / 12 / 29 تاريخ النشر: 2022 / 02 / 05

ملخص:

ينطلق هذا البحث من رؤية مفادها أن الأمثال الشعبية بما أنها خلاصة تراكم مجموعة من الخبرات وسلسلة من التجارب الناجحة والفاشلة، فإنها تتضمن فلسفة سائرة يمكنها أن تزيدنا معرفة بالوعي الجمعي للفئات الشعبية الجزائرية، لذا كانت غايتنا منه معرفة ما تكشف عنه الأمثال الشعبية الجزائرية بخصوص موضوع العمل، وكيف تتمثله تلك الفئات.

وقد قادتنا الدراسة إلى استخلاص نتائج تقدم لنا فكرة واضحة عن جذورنا الثقافية والاجتماعية، وتمدنا بتصوير واضح حول كيفية العمل في الوقت الراهن على توثيق الصلات بينها وبين الأجيال الحالية. هذا المقال يدرس مجموعة من الأمثال ويستخلص منها الإجابات، إذ توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن الشعب الجزائري يقدس العمل وأمثاله تدل على ذلك.

الكلمات المفتاحية: جزائري ؛ شعبي ؛ عمل ؛ صورة ؛ مثل.

Abstract:

This research is based on a vision that popular proverbs since they are the fruit of the accumulation of a series of sometimes successful and unsuccessful experiences, they incorporate a working philosophy that can inform us and increase our knowledge of the Algerian collective consciousness, so our objective was to know what Algerian proverbs reveal to the subject of work.

This study gives us a clear idea of our cultural roots and how we are currently working to strengthen the bonds between them and current generations. This article examines a group of proverbs and extracts answers from them, as the research has achieved a set of results, the most important of which is that the Algerian people sanctify work and their proverbs indicate this.

Keywords: Algerian ; popular ; proverb ; representation ; work.

1. المقدمة

سلوك الإنسان الاجتماعي انعكاس لثقافته، ولكي يضطلع الفرد بدوره وسط بيئته الاجتماعية، لا بد من إعدادة وتوجيهه وفق ما يجعله يتأقلم ومتطلبات الحياة الاجتماعية، وهذا ما تقوم به التنشئة الاجتماعية، التي يمكن وصفها " بأنها العملية التي تتشكل خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه... لكي تتوافق وتتفق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنة لدوره الراهن أو المستقبل في المجتمع. وتبدأ هذه العملية الحيوية منذ اللحظة التي يرى فيها الطفل الحياة على هذه الأرض...ومؤدى هذا أن عملية التنشئة الاجتماعية تتضمن مهارات الفرد إلى جانب قيمه ومثله ومعايير، وأنماط سلوكه، وهي تبدأ منذ أن يولد الطفل وتستمر مدى الحياة." (العيسوي ، 1985: 207)

وفي المجتمعات التقليدية .كالجزائر. يشكل التراث الثقافي الشعبي اللامادي مصدرا من مصادر التنشئة الاجتماعية، لذا تحرص الشعوب على تنقله والحفاظ عليه، إذ تعيد بعثه وتفعيله من جديد خلال مراحلها التاريخية المختلفة بحسب خصوصياتها واحتياجاتها الاجتماعية لذلك ، فهو يحمل ذاكرتها ومختلف قيمها، وطرق تفكيرها وتمثلاتها الاجتماعية، ومن هنا تعد التنشئة الاجتماعية من خلال هذا التراث مهمة في بناء شخصية الفرد، فهي تعمل على توجيهه وفق القيم والعادات التي يرتضيها المجتمع، وتعلمه كيفية تحقيق التوازن بين ميولاته الفردية ومتطلبات الحياة الاجتماعية.

وتقوم عدة مؤسسات بهذا الدور، ولكن تبقى الأسرة هي المصدر الأساسي والدائم لهذه التنشئة، فهي التي تعمل على إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام للمجتمع" عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه، وتوريثه إياه توريثا متعمدا، فعن طريق الأسرة يكتسب الطفل لغته، وعاداته وعقيدته، ويتعرف على طرق التفكير السائدة في مجتمعه، فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والقيم والأساليب، فتتغلغل في نفسه وتصبح من مكونات شخصيته فلا يستطيع التخلص منها. وغني عن الذكر ما لهذا الرصيد الزاخر بأساليب السلوك والعادات والقيم الاجتماعية من أثر في حياة الطفل حاليا ومستقبلا، وفي قدرته على التوافق المطلوب." (همشري ، 2013: 329. 330)

2. أهمية التراث الشعبي في التنشئة الاجتماعية

تؤثر الموروثات الشعبية عن وعي ولا وعي في سلوك الأفراد وقيم المجتمعات الإنسانية، ويندرج ضمن هذه الموروثات الثقافية اللامادية مجموع العادات والتقاليد والمعتقدات والآداب الشعبية بمختلف عناصرها من أشعار وحكايات.. خاصة منها المثل الشعبي، الذي يحمل حكما معرفية تؤدي دورا بارزا في تشكيل توجه المجتمع للأفراد وتمكينهم من الاندماج في الإطار الثقافي العام، من خلال ما تحويه من خلاصة تجارب وخبرات الأفراد، التي اكتسبوها بفعل تفاعلاتهم الاجتماعية، ف " الثقافة الشعبية تعد من المداخل الهامة لدراسة الشعوب لأنها تعبر عن الجوانب النفسية والشعورية في حياة المجتمعات، وتعد الأمثال الشعبية من أبرز عناصر هذه الثقافة، لأنها تمثل حجر الزاوية في معرفة الشعوب، ولا شك أن الدراسة الحقيقية للمجتمع لا تبدأ إلا من دراسة ما يمكن أن نسميه الفلسفة السائرة، أو اليومية في العلاقات الاجتماعية الإنسانية" (شعلان ، 2003، ج 1: 10)

ويعتبر المثل الشعبي عنصرا من عناصر التراث اللامادي، وهو قول موجز حافل بالرموز والدلالات الاجتماعية، إنه يعكس عادات الشعوب، وأساليب عيشهم، ومعتقداتهم، ومعاييرهم الأخلاقية، لذا فإنه يسهم في تشكيل قيم المجتمع، وسلوكات الأفراد، إنه يتضمن ثمرة خبرات الإنسان وتجارب التي يقوم بتبليغها لمختلف الأجيال التي تليه بهدف التنشئة والتوجيه، ولكون الأمثال مستقاة من التجارب الإنسانية فإنها قد تطرقت لمجالات عدة، بهدف التربية والتعليم والتوجيه، لذا هو يحظى بالسيرورة بين الناس.

المثل يرتبط بجميع المؤسسات الاجتماعية، إذ تتداوله جميع المؤسسات التي تسهم في تشكيل الوعي، وتوجيه السلوك كوسائل الإعلام، وكذلك المؤسسات الدينية والمؤسسات التعليمية... إذ " تسري هذه النصوص بين فئات الشعب دون استثناء نسمعها بين كبار المثقفين والمفكرين والعلماء والسياسيين ورجال الدين، ونسمعها بين أوساط الناس وبسطائهم رجلا كان أو امرأة، ونقرأها في الصحافة اليومية والأسبوعية... وضمن كافة الموضوعات التي تنشرها الصحافة" (شعلان ، 2003، ج 3: 7)

وهو أي المثل. يدل على الحس والوعي الكبير لدى الفئات الشعبية بحاجات المجتمع للعمل على تحقيق استقراره، لذا تعمل على نقل هذا الوعي من خلال خلاصات تجاربها الإنسانية التي تملك قيمة معرفية وتوجيهية بهدف تشكيل سلوكات الأفراد والجماعات بما يضمن ذاك الاستقرار.

وتستري هذه الموروثات اهتمام الباحثين، فالمثل الشعبي بالإضافة إلى كونه عنصرا من عناصر الثقافة الشعبية، فإن أكثر تعريفاته تركز على الجانب الشكلي الأدبي، وهذا ما يعزل الأمثال عن مضمونها الفكري

الذي يستحق العناية، إن "المثل... يمكن أن يسنّى تاريخ وحكمة هذا الشعب ففيه تبرز ملامح الوجه الفلسفي لشعبنا، ومن هنا نستطيع أن نحصل على الطاقات المعنوية المتطورة داخل أعصاب رجالنا الكادحين. ولما كان المثل هو تاريخ وفلسفة هذا الشعب، فإننا عندما نقرر خصائص هذا المثل إنما نقرر في الوقت نفسه خصائص شعبنا العريق فوق هذه الأرض." (أبو سنة ، 2009: 17)

إذن تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسمح بقراءة مجموعة من الأمثال تملك موضوعا واحدا وهو "العمل"، إذ تتيح هذه القراءة الاطلاع على تصور المجتمع الجزائري للعمل ذي ملامح واضحة، فمن أبرز مميزات المثل الشعبي حسب كثير من دارسي الأدب الشعبي، أنه يكشف عن وجهة نظر جماعية تتقاسمها جماعة اجتماعية، فهو جماعي يعبر عن الذات الجماعية. فما موقف الجزائريين إذن من العمل من خلال أمثالهم الشعبية؟ وكيف تم التطرق إلى هذا الموضوع؟ ومن أية زاوية؟

3. الأمثال تحت على الكسل

قبل التعرف على موقف الأمثال الأول من العمل، نتوقف قليلا لمعرفة مفهوم العمل وقيمه تاريخيا وفلسفيا، بالنسبة للمفهوم فتتعدد تعاريف العمل في معاجم مصطلحات علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة... وهذا ليس مجال ذكرها كلها لذا نكتفي بتعريف موجز يبرز قيمته " العمل مجهود إرادي عقلي أو بدني يتضمن التأثير على الأشياء المادية وغير المادية لتحقيق هدف اقتصادي مفيد كما أنه وظيفة اجتماعية تتحقق فيها شخصية الفرد." (بدوي ، 1982: 236)، نستخلص من هذا التعريف أن العمل جهد إرادي بمعنى أنه يختص بالإنسان، هدفه تحقيق منافع اقتصادية، وبه يندمج الفرد في الجماعة ويطور شخصيته.

ويعتبر العمل من النشاطات الأساسية التي يقوم بها الإنسان، فما يستهلكه يتطلب منه القيام بمجهودات لنيله . طعام أو لباس أو آلات وحتى وسائل الترفيه . كله أو في أغلبه من ثمار العمل، إلا أن المواقف الفلسفية فيما يخص نظرتها للعمل الإنساني تضاربت، فقد كان الفلاسفة اليونانيون يحتقرونه ويعتبرونه خاصا بالعبيد، هذا الموقف تطور حيث استرجع العمل قيمته على المستوى الفلسفي منذ " أواخر القرن الثامن عشر عندما اخذت الثورة الصناعية تتجلى بدقة، ظهرت أهمية العمل الرئيسية ظهورا ملحاً. وقد بشر بهذا التقدم والاتضح كتاب (آدم سميث) "... بحث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها" (1776) وقد لاحظ المؤلف أن ثروات الأمة تنتج عن العمل" (أرفون ، 1989: 27)، بينما الفكر الفلسفي قبله كان يرى أن مصدرا الثروة

هما إما الذهب أو الأراضي الخصبة. وهكذا استعاد العمل مجده مع ازدهار الثورة الصناعية خاصة وبفضل فلاسفة آخرين أمثال هيجل وماركس.

وقد كانت الديانات السماوية . خاصة الدين الإسلامي . قد أعادت للعمل قيمته قبل ذلك، حيث حث الإسلام على العمل في جميع مناحي الحياة الاجتماعية، ولنا في القرآن نصوص كثيرة في الدعوة إلى العمل حيث " ذكر في ثلاثمائة وتسع وخمسين آية مقترنا بالإيمان، وأكدت أن الإيمان الصادق لا بد وأن يترجم إلى عمل صالح " (الزري ، 1998: 14) منها قوله تعالى في سورة التوبة الآية مائة وخمسة " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

ومع هذا التضارب في المواقف الفلسفية فإن الإنسان على المستوى التاريخي لم يتوقف عن العمل، فقد انتقل عبر تطوره التاريخي من الجني والصيد إلى الزراعة والتجارة ثم إلى الصناعة، مستجيبا في كل ذلك لاحتياجاته المختلفة، ولا يزال يعمل على الرغم من التطور التكنولوجي الذي أدى إلى المكننة في جميع مجالات الحياة.

وعلى الرغم مما يكتسبه العمل من أهمية على المستويين الفردي والجماعي، نجد في أمثال الجزائريين نصوصا تنفّر منه وتحث على تركه ، وثمة من يعتمد عليها للتأكيد على أن الشعب الجزائري كسول ولا يحب العمل، فهو متواكل ينتظر الله أن يرزقه دون أن يتخذ الأسباب "إذا أعطاك العاطي ما تشقى ما تبأطي" "أللي أعطاه العاطي حتّى الجبال ليّه تُطأطي" فالمثلان يحثان المرء على ترك العمل فالرزق من عند الله، ولا حاجة له لبذل الجهد، كما أنه في هذا المثل الموالي ثمة دعوة إلى الاستمتاع بأشعة الشمس لأنها أفضل من العمل "تَشْمِيسَة خَيْرْ مِنْ تَخْمِيسَة وَاللي حَبْ يَرْجَحُ الْعَامَ طَوِيلْ"، وأكثر من ذلك المثل الموالي الذي يؤكد أنه لا منفعة ترتجى من تعلم سبع مهن لأنها لا تؤدي إلى الرزق "سَبْعُ صَنَائِعِ وَالرَزَقُ ضَائِعْ" فالرزق وفق هذا المثل غير مرتبط بإجادة المهن ، هذا إلى جانب مثل آخر يدل على أن الجزائري لا يجد حرجا إذا تعطلت مصالحه فبالنسبة له "كل عطلة فيها خير".

بناء على مثل هذه الأمثال السلبية، ثمة من يستهجن بعض جوانب الثقافة الشعبية، ويدعو إلى التخلص منها، لأنها تقوم بتبليغ خطابات سلبية، ومن بينهم خيرى شلي القائل في مقدمة كتاب: فلسفة المثل الشعبي " لكم تمنيت أن يقدم دارس على هذه الأمثال ليفرزها ويوضح دوافعها البيئية ومواقفها الفكرية

والاجتماعية، ويعزل الزائف منها عن الحقيقي، والغث عن السمين، بغية تأصيل الملامح الرئيسية للمكونات الحضارية للشخصية القومية. والشاعر محمد إبراهيم أبو سنة انتبه منذ وقت مبكر. لعله أواخر الخمسينيات . لهذه الفكرة، ولكنه اكتفى بالكتابة عن فلسفة المثل الشعبي بوجه عام. وهو بذلك قد منح الدارسين خلفية ضوئية مستنيرة تمكنهم من إعادة النظر في تراث المثل الشعبي من وجهات نظر متعددة. (أبو سنة ، 2009 : 5)

صحيح أن الأمثال تدل على الروح الجماعية كما يؤكد على ذلك أغلب دارسي الأدب الشعبي فـ" الأمثال . كما هو معروف . مرآة لكل قوم، تصف أخلاقهم وعاداتهم، وشاهد عدل على حالة لغتهم. والأمثال...مرآة صادقة تتجلى فيها صور الأمم، وما عليها من أخلاق وعادات. " (تيمور ، 1956) ولكن ما ينبغي تذكره هو أنها مرتبطة بالحياة بكل متغيراتها، وكون روح الأمثال روحا جماعية لا يلغي منها الفردية، لذا فهناك أمثال قليلة مرهونة بسياقات استثنائية، فالأمثال سواء أعلق الأمر بإبداعها أم بروايتها فهي وليدة سياقات محددة، ولا يستهجن المثل العمل إلا إذا ارتبط بالكسل وكان سببا في توالى الآخرين كما في المثليين التاليين "اخدم يا الشَّاقِي للْباقِي" و"اخدم يا النَّاعِسْ عَلَى الرَّاقِدِ والنَّاعِسْ".

إن السياق يفسر لنا كثيرا من المضمرات والمبهمات التي تكتنف الخطابات، فالسياق هو الذي يعين المتلقي على تحديد الدلالات خاصة لنوع ثقافي كامل، إذ " لا شك فيه أن النظرة على هذه الأمثال ينبغي أن تكون في إطار مفاهيم تربط بين سياقها التاريخي والجغرافي والاجتماعي والسياسي ذلك أن الإطار هو الذي يفسر الرمز أو المجاز أو الألغاز أو الغوامض والسياق هو الذي يكشف الغموض. " (شعلان ، 2003، ج 6 : 12)

بالإضافة إلى ذلك قد توجد أمثال مغايرة تماما لما هو سائد اجتماعيا وهذا ما يؤكد بن شنب، فهو وإن كان . أي بن شنب . يؤكد على الطابع الجماعي للأمثال حيث يعتبرها المعبر عن عادات الناس، فإنه يضيف أنها ليست دائما مطابقة لتلك العادات، إذ ترد بعض الأمثال أحيانا منافية لما هو سائد من أعراف وعادات وقناعات نتيجة سياقات استثنائية كوجود حالات تمرد على الأعراف وهذا ما تعرفه جميع الشعوب حيث يقول " أن الأمثال هي حكمة الأمم والتعبير عن طبيعتهم وعاداتهم وتقاليدهم وإن كانت تصرفاتهم أحيانا مخالفة لأقوالهم. هي صيغ موجزة تضم ملاحظات ومقارنات لصور معبرة وإحالات على ظروف عرضية أو غير متوقعة، يمكن اعتبارها كملخصات للآراء والممارسات والأفكار المسبقة...تحتل الأمثال مكانة مميزة في الكلام ...

بالمثل نسكت ثرثارا ونحيي محاورة، نصالح القلوب ونتفادى الخطابات الطويلة ونعاتب ضالا ندحض حجة ونصحح خطأ ونجيب على دعوة." (Bencheneb, 2003)

من ذلك المثل " تَشْمِيسَة خَيْرُ مَنْ تَخْمِيسَة وَاللِّي حَبْ يَرْبُخُ الْعَامُ طَوِيلٌ " إنه لا يحثّ على الراحة الدائمة والمتواصلة مطلقا، وما فيه من تمرد هو موجه ضد ظروف العمل اللاإنسانية، أي العمل بأجر زهيد هو الخمس، تحت شمس حارقة زمن الحصاد، فقائله يفضل أن ينتظر عملا آخر فيه رزق حقيقي.

ولكن هذا لا ينفي وجود أمثال سلبية تعلم أن الرزق غير مرهون بالجهد كالمثل القائل إذا وهبك الله لا تحتاج للعمل "إذا أعطاك العاطي ما تشقى ما تباطي" الذي قد يفهم منه أن الرزق هبة من عند الله ولا علاقة له بالعمل، وقد تساءل شعلان إبراهيم عن سبب احتفاظ الذاكرة الشعبية بالأمثال السلبية كالمثل المصري القائل أن "الأقارب عقارب"، فذكر أولا أنها أمثال ترتبط بموقف استثنائي متغير ثم "استقرت داخل الثقافة الشعبية وأصبحت تنتقل من جيل إلى جيل آخر واستقرت داخل اللاشعور بحيث يمكن استعادتها من المخزون الثقافي بين الحين والآخر" (شعلان ، 2003 ، ج 6: 11) وتتيح مجهولية المؤلف لهذه الأمثال المتمرتدة بالظهور وعبور التاريخ والبقاء في الذاكرة.

ومثل هذه الأمثال السلبية موجودة في كل المجتمعات، فثمة مثلا أمثال تحثّ على العنف ضد المرأة، وهناك أمثال تتضمن الكثير من العنصرية ضد بعض الفئات الاجتماعية الأخرى " وهي موجودة مع الإنسان في أي مكان وهناك دائما صراع بين الخير والشر وبين الحسن والسيء، وهناك ثنائيات تعبر عن الصراع بين الأطراف المتناقضة والمتضاربة ولا يوجد بين البشر ذلك المجتمع الملائكي. فهذه النصوص تطفو على السطح للتعبير عن الظرف الطارئ ثم تعود إلى الكمون في المخزون الثقافي" (شعلان ، 2003 ج 6: 11)

إن المثل ينتقل من سياق إلى آخر، ومن فرد إلى آخر وهذا ينتج عنه أنه يتغير في شكله أو في دلالاته هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجعلنا ذلك نعثر على أمثال متناقضة من حيث دلالاتها إلى حد ما فالمثل لصيق بالحياة اليومية وهذا ما يؤكد الأستاذ بورايو حيث يقول "إن المثل يربطنا بالتجارب المتعددة واللامتناهية في حياتنا وفي علاقتنا بالعالم الذي نعيشه، إنه يعتني بتفاصيل الحياة وبالخبرات اليومية الفردية في تنوعها وفي خصوصيتها. تبرز الأمثال نتائج خبرات فردية قد تتماثل هذه الخبرات أحيانا غير أن نتائجها قد تختلف، وبالتالي تعطينا أمثلة متباينة لهذا نعثر على أمثال متناقضة المعنى." (بورايو ، 2007: 64.65)

ولكن تبقى هذه الأمثال السلبية المعبرة عن حالات تمرد فردية استثنائية وقليلة لأن " الفاعل الفرد في الثقافة الشفوية ليس له سوى هامش ضيق للغاية للتعبير عن تفرد. يتم اعتباره فاعلا فرديا فقط في حدود علاقته بالمجتمع ككل. سواء أكان مبدعا أم راوية . وهي الحالة الأكثر تواترا . فإنه يتصرف دائما بطريقة أو بأخرى في ملفوظه. لكن هذا الفاعل يعمل أولا كعنصر في مجموعة اجتماعية بدلا من العمل كفرد ينأى بنفسه عن المجموعة." (ديلمى فطيمة، 2020)

وهنا يمكننا الرد على الموقف القائل بكون الأمثال الشعبية الجزائرية تحت على الكسل، فهو موقف يجافي الموضوعية فالأمثال تراث مستقى من التجربة الإنسانية، وهي تجربة متعددة ومتغيرة من هنا تبرز خطورة التعميم إذ من غير المعقول تعميم ما يرد في مثلين أو ثلاثة على تاريخ شعب وتجاهل بقية الأمثال التي تثبت عكسها.

4. الأمثال الجزائرية وتقديس العمل

يؤكد الرأي الثاني أن الأمثال الشعبية الجزائرية تقديس العمل، وتحت عليه، مثلها مثل بقية أمثال العالم، وهي كثيرة بل وأكثر عددا من تلك التي فيها دعوة للراحة وترك العمل، وقبل التعرض إليها، نخرج قليلا على الوعي الشعبي الجمعي، وكيف يقوم من خلال الأمثال، بإعداد وتهيئة النشء منذ الصغر لتقبل نصائح الكبار وتعليماتهم والعمل بها، إذ أن أول ما يبدأ به المثل هو تعليم الصغار تقدير الكبار فاحترام وتقدير المسنين من الصفات المهمة التي يستحب بل يجب الاتصاف بها، لأنها تشكل حماية لهم من تقلبات الدهر فـ "الْجَاهِلُ الْيَ مَا يَفْرَا لِلزَّمَانِ عُقُوبَةَ".

لذلك هناك الكثير من الأمثال التي قيلت عن ضرورة الاحترام والتقدير، وهذه بعضها، حيث يبرز المثل الموالي محاسن التقدم في السن، خاصة منها امتلاك الخبرة، فالمثل يقول: من كان أكبر منك ولو بليلة فاتك ذكاء "الْيَ فَاتَكْ بِلِيلَةَ فَاتَكْ بِلِيلَةَ" وبالتالي هذا ما يجعلك بحاجة إليه لاستشارته أوان الحاجة، وهنا يتدخل المثل الثاني "الْيَ مَا شَاوَرْ كُبِيرُو رَاخْ تَدِيرُو" الذي يحذر من عدم استشارة كبار السن في أمور الحياة، لأن ذلك يجعله يسيء التصرف، فتكون عواقب ذلك وخيمة.

1.4 الحث على تعلم المهنة

إن ممارسة أي عمل قد يحتاج مهارة، وتدريباً، وتعلماً لمجموعة من المعارف، يكتسبها بفضل تعلم مهنة، وهذا التعلم يحفزه على الطموح ويكسبه شخصية أقوى بفضل التعامل مع الغير كما يمنحه إمكانية لتطوير مهارته، كما يتيح تعلم مهنة لصاحبه إدراك ميولاته وإمكاناته النفسية والجسدية لذا تدعو الأمثال إلى تعلم الحرف والصنائع، فهي تدعو المرء للاعتماد على جهده، ويحذر من الاتكال على ثروة الأسرة دون تنميتها بالعمل لأن المال يفنى بالإنفاق ولا يبقى للإنسان إلا عمله فهو رأس ماله الحقيقي حيث يقول المثل "يَفْقَى مَالُ الْجَدِّينَ وَتَبْقَى حَرْفَةُ الْيَدَيْنِ"

ويعلي المثل الجزائري من قيمة المبدعين أهل الابتكار، لأنهم من يستمتع بخيرات الحياة "يَعِيشُوا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الصَّنَائِعِ وَأَهْلُ الْبُدَائِعِ"، وهذا المعنى يؤكد مثل آخر ولكن من زاوية مختلفة، حيث يقول "صَنْعَةُ فِي يَدِكَ خَيْرٌ مِنْ دِينَارٍ فِي جَيْبِكَ" ويدعو المثل إلى تعلم مهنة، حتى وإن لم يحتج إليها عاجلاً فإن المرء سيأتي عليه وقت ويدرك قيمتها "احْفَظْ وَاتْرُكْ" فالحياة دوارة، واكتسابها لا يضره في شيء "الْحُرُ حُرٌّ وَالصَّنْعَةُ مَا تُضَرُّ" ومن الأفضل تعلم عدة حرف، لأن تعلم عدة مهني يساعد في تعزيز القدرات المهنية للإنسان وخصوصاً الشباب إذ يساعد ذلك على تنمية مهارات الإبداع والابتكار، كما أنه أمان من صروف الدهر "كل اصبع بصنعة"

وهكذا نلاحظ أن الذهنية الشعبية واعية ولا تكلف المرء بالعمل إلا بعد أن تكون قد أعدته لذلك من خلال الحث على تعلم المهن والصنائع والعمل بها لكسب الرزق.

2.4 الحث على العمل

لكي نفهم رؤية الجزائري لعلاقة العمل بالحياة من خلال أمثاله، نعود إلى المنطلق، أو المثل الذي يمثل فلسفته العامة بخصوص هذه العلاقة، إنه المثل القائل "زَهْوُ الدُّنْيَا شَقَاهَا" إنه مثل يدفع للتأمل وإعمال العقل، وقد يعتقد البعض أنه مثل يدل على التشاؤم أو المازوشية، كونه يربط السعادة بالشقاء، ولكن لا يمكننا إدراك دلالة هذا المثل إذا عزلناه عن السياق اللغوي لكلمة الشقاء فهي تعني التعب وهي هنا كناية عن العمل، وهذه الدلالة تتأكد من المثلين التاليين "سَاقِي وَلَا مَحْتَاجٌ" "إِلَيَّ مَا شَقَى مَا لَقَى" فإذاً هو مثل يربط السعادة بالعمل لأن صاحب الرزق حياته كلها أعياد "إِلَيَّ عَنْدُوسِمِيدُ كُلِّ يَوْمٍ عِيدُ".

إن الإنسان بحاجة للعمل في الحياة، وهذا العمل تتفاوت أهميته من فرد إلى آخر، فهو أهم بالنسبة للبعض أكثر من البعض الآخر، لأن تلك الأهمية ترتبط بالوضع الاجتماعي لكل واحد، إذ أن البعض يمكنه العيش من دون عمل إذا كان لديه مصدر رزق ما كوجود ميراث عائلي، ومع ذلك يقول المثل "خَدْمَةُ الْيَدَيْنِ خَيْرٌ مِّنْ تَرَكَهُ الْجَدَيْنِ".

وتساوي العقلية الشعبية بين المهن، إذ لا نجد في الأمثال ترابعية بين مختلف المهن التي يؤديها المرء، فلا حياء في العمل "الْخَدْمَةُ مَا فِيهَا حَشْمَةٌ" بل على العكس فإن الرجولة الحقة لا تتم إلا بعمل ينفع به الرجل على أهله، ولو كان هذا العمل شاقا وقذرا كالعمل في منجم فحم "الرَّاجِلُ مَنِ الْفَحْمِ يُجِيبُ الْقُفَّةَ وَاللَّحْمَ" لأن قذارة بعض الأعمال أولى من عطور البطالة والكسل "عُبَّازُ الْخَدْمَةِ وَلَا بُخُورُ لُقْعَادٍ".

والعمل لا يرتبط بزمن، فلقد وجهت الأمثال الشعبية الناس إلى العمل، وحثتهم على بذل الجهد لنيل الرزق مدى الحياة، لأنه بالعمل يضمن المرء دنياه وآخريته "أخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري" اللي عَنْدُو الدَّرَاعُ مَا يُمَوِّتُشْ مَغْبُونٌ، وتقوم الأمثال بتربية النشء على حب العمل منذ الصغر، ببناء شخصية تحترم الرجل العامل، لأن أفضل الرجال من كان شغيفا "خَدَّامُ الرَّجَالِ سِيدُهُمْ" كما أن العمل يدل على أصالة صاحبه، "الْحُرْحُرُ وَالْخَدْمَةُ مَا تُضُرُّ" والعمل يغني عن النسب الرفيع "اللي مَا تَعْرِفُ جَدُّو رَاعِي لُجْهْدُو" هكذا تبرز الأمثال للمرء كيفية الحصول على احترام الناس وتشجيعهم في الحياة.

وتستعمل بعض الأمثال سبيل المقارنة لتبرز قيمة العمل للإنسان حيث يقول المثل "الْعُودُ وَلَدُ كُرَاعُو" والراجل ولد ذراعو " فقيمة الإنسان أو الحيوان مرهونة بما يقدمانه ويعملانه فكما أن قيمة الحصان في قوائمه التي تتيح له حمل الإنسان والأثقال والمحراث كذلك قيمة الإنسان في ذراعه وما يقوم به من أعمال بفضل قوة عضلاته، لذا يكتفى عن الرجل الجاد في عمله بمول الدراع.

وإذا كانت بعض الأمثال تربط بين العمل والشرف، فإن البعض الآخر يربط بين العمل والجمال، في هذا الإطار نورد المثل الموالي "السَّبْعُ يَفْخَرُ بِزُنُودُو" فالرجل الحق جماله في قوته البدنية التي يستخدمها لإنجاز الأعمال، وكذلك بالنسبة للمرأة، فالمثل يقول "الرَّيْنُ مَا عَمَزْدَا" فليس بالجمال تعمر البيوت، لذا من أراد أن ينال إعجاب الناس اشتغل حيث يقول مثل آخر في الحث على العمل وتحبيبه " أَخْدَمْ عَلَى رُوحَكْ تَعَجَّبُ النَّاسُ".

والأمثال لا تكتفي بالحث على العمل بل ترغب فيه بوسائل مختلفة، فهي تدل على أن الإنسان بعمله هو الذي يقوم ببناء المجتمع، وهو الذي ينتفع منه لبناء أسرة، وكسب المال للإنفاق على ذويه، لذا يوجهه المثل إلى العمل، وإلى الحزم لأجل تفادي العزوبية وذلك بالشروع في العمل الدؤوب لتوفير المال اللازم لتكوين أسرة، قبل الزواج بوقت طويل "الزَّوْاجُ لَيْلَةٌ وَتَدْبِيرُهُ عَامٌ" ولقد كان الناس يمتنعون عن تزويج بناتهم لمن لا عمل له.

ومن المغريات الأخرى التي ترغب في العمل الكسب المادي، فالأجر هو حافز أساسي للعمل ولعله الحافز الرئيسي، وهو الذي يدفع المرء للمثابرة والاجتهاد، لذلك يقول المثل أن من يبغي النقود شقي لنيلها" اللي يَحْبُ لَالُوْ يَصْبِرْ لُوْ " ففي الأمثال يعد العمل المصدر الأساسي للكسب، وهو ضروري لتوفير حياة كريمة "اضْرِبْ عَلَى ذَرَاعِكَ تَأْكُلُ الْمَسْقِي" "اللي بَغَى الْمِيدُومُ يَخْدَمُ الْمِشُومُ"، إنه بالعمل يضمن الإنسان بقاءه، فالأجر إذا كان يسمح للمرء بالزواج وتكوين أسرة أي حفظ النوع، يسمح خاصة بحفظ الذات، فبالعمل يعيش الإنسان مطمئنا على طعامه وشرابه، فالمثل يقول "أَحْفَرُ بِرْكُ قَبْلُ مَا يَحْكَمُكَ الْغَطْشُ" وتبين الأمثال قيمة العمل وفائدته بالنسبة للأسرة إذ يقول أحدها" اللي ائْكَلْ عَلَى ذَرَاعُوْ أَوْلَادُوْ مَا جَاعُوْ"، كما أنه بفضل العمل يكثر التب، وبالتب يتوفر اللبن أي الغذاء "عَامٌ يَكْثُرُ التَّبْنُ يَكْثُرُ اللَّبَنُ"، وثمة أمثال كثيرة تحمل معاني الخوف من الجوع تدل على ما تعرض له الجزائريون من مجاعات خلال مراحلهم التاريخية وخاصة خلال الفترة الاستعمارية بسبب القحط والظلم الاجتماعي.

هذا ولا يمكن نيل ثقة الناس إلا بالعمل الدؤوب والنشاط الفعال، فالنوايا الطيبة والكلمات وحدها لا تكفي، إن البرهان الذي يثبت استحقاق المرء لاحترام الآخرين، والأعمال مهما كانت بسيطة، لأن العمل يعني الاتقان يعني احترام المواعيد يعني الالتزام ، والناس لكي تمنح ثقتها تريد سلوكات حقيقية، وقوية كما في حالة منح القروض مثلا، لذلك يبرز المثل أن امتلاك العمل والأجر يسمح بكسب ثقة الناس، فمن يملك قمحا يمكنه أن يستلف دقيقا "اللي عَنْدُو الْقَمْحُ يَتَسَلَفُ لُو الدَّقِيقُ"، والعكس صحيح فمن لا عمل ولا مال لديه يعيش معزولا عن الجماعة "اللي مَا عَنْدُو فُلُوسْ كَلَامُوْ مَسُوسْ"، كما أن "قَلَّةُ الشَّيْ أَثْرَشِي وَتَنْوُضُ مَن الْجَمَاعَة"، فالجماعة تستغني عن الفرد الذي لا يعمل، تماما كما يستغني الفلاح على الثور الذي لا يحرك "لُو كَانُ جَاءَ يَحْرَثُ مَا يُبْعُوْه".

3.4 ضرورة إتقان العمل

إتقان العمل يعني أن يُنجز في الوقت المحدد، لذا يدعو المثل الموالي إلى عدم الاستعجال في أداء المهام "اللي غُصَبَ عَلَى خُبْرْتُو يَأْكُلْهَا عَجِينٌ" فالمثل يقول أنّ من استعجل في تحضير خبزه تناوله عجينا، ومثلما هي العجلة سيئة كذلك التأخير مرفوض، وها هو المثل الموالي يتهكم من المرأة التي تقضي نهارها تطوف بالبيوت لتقوم ليلها بنسج الصوف "في النهار تطوف وفي الليل تنسج الصوف"، فللعمل وقت لابد من احترامه ومن الأفضل التبكير في طلب الرزق "اللي بُغَى السُّوقُ يُبَكِّرُو".

ولا يكفي احترام الوقت لإتقان العمل بل لا بد من أدائه على أكمل وجه، ليثمر ذلك العمل نتائج موافقة للمواصفات، وقد دعا المثل الشعبي في عدة نصوص إلى وجوب إتقان العمل، إذ لا يحق للمرء إهمال عمله أو تأجيله أو التقصير في أدائه فليس المطلوب من المرء مجرد القيام بعمل كيفما كان، وأشهر مثل في هذا الإطار هو القائل "كَوَّرْ وَاغْطِي لِلْأَعْوَزْ" فهي صفة العمل الرديء الذي أنجزه صاحبه كيفما اتفق ليهربه من لا يعرف الصنعة، ونجد في الثقافة الشعبية الجزائرية عدة أمثال تبرز معايير سوء العمل، منها ما اربط بالحرف كالمثل السابق ومنها ما ارتبط بالفلاحة كقولهم "كي الحراثة بالجمل" أو "اللي يَحْرَثُو الْبُعِيرُ يُعَاوِذُ يَعْفُسُو" فمن شروط إتقان العمل ألا يفسد المرء عملا سبق وأن أنجزه على أكمل وجه لقلة انتباهه، وكما أنه على المرء الحفاظ على ما ينجزه عليه الحفاظ على نفسه، وألا يصيبها بأعطاب تبقى معوقا أو عاجزا عن العمل كقولهم "في آخِرِ السُّبُوءَةِ قَطْعُ يَدُو"، ومن هنا وردت أمثال أخرى كثيرة تدعو لإتقان العمل، أهمها المثل الموالي الذي يلخص كل الباقيين والذي يدعو الناس لمراقبة ذواتهم، لذلك علم الناس أن كل عمل يقومون به إنما هو لهم، فمن زرع الرياح أي الفراغ وجد الغبار "اللي يَزْرَعُ الرِّيحَ يَحْصَدُ غُبَارُو".

وقد تكفل المثل بتعليم الناس بعض الشروط التي تتيح لهم النجاح في أعمالهم، فالمثل يقول "اللي تَرْهَنُو غَيْرُ بِيْعُو وَاللي تَخْدُمُو طِيْعُو" ففي المهن الحرة يكون عادة صاحب العمل صاحب صنعة، لذا يأمر المثل العامل بطاعته لتعلم أسرار المهنة منه، مما يتيح له الاستقلال عنه مستقبلا.

كما تكفل المثل بتعليم الناس أسرار ومهارات خاصة ببعض المهن بهدف إتقانها كالفلاحة والتجارة، حيث يدعو هذا المثل الموالي لحفظ المغروسات بتسييجها حتى لا تكون عرضة للهائم أو المارة فيتسببوا في إتلافها "ما تَغْرِسْ حَتَّى تَزْرَبْ وَمَا تَخْطَبْ حَتَّى تَجْرَبْ" وتلج الأمثال على مداومة الحرث حتى وإن بدا من المناخ

قلة المردودية فـ" الصَّابَةِ أَعْوَامٌ وَالْحَزْتُ دَوَامٌ" إذ على الفلاح أن يحرق كل عام أرضه رجاء رزق وفير، حتى وإن دلت المؤشرات أن المحاصيل ستكون قليلة، لأن الفلاح الخبير يعرف جيدا أن المحاصيل الوفيرة لا تكون سنويا.

كما يقوم المثل بتبليغ بعض أسرار التجارة الربحية، فعلى التاجر قبل اختيار سلعه التي سيتاجر فيها، واقتنائها، التفكير فيما هو قابل للبيع، وذلك قبل الشراء "تَفَكَّرْ يَا شَارِي يَوْمَ الْبَيْعِ"، وبعد الشروع في التجارة على التاجر التحلي بالصبر والأناة، لأنه "بِالزَّانَةِ تَنْبَاعُ الصُّوفُ" فالتجارة تتطلب التأني، وقد يكون التاجر عرضة للخسارة فلا ينبغي له أن يستسلم للفشل بل عليه أن يغير سلعته "بَدَلْ سَلْعَةٍ بِسَلْعَةٍ تَرْتِخْ" فالخسارة في التجارة لا ينبغي أن تثبط من عزيمة التاجر يكفي أن يغير سلعته أو مجال تجارته فالسلع مختلفة ، "السَّلْعَةُ لَمْخَيَّرَةٌ تُبَيْعُ رُوحَهَا" وفي ذلك دعوة لتفادي المتاجرة بالسلع الرديئة، لأنها عرضة للكساد، فالسلعة الجيدة لا تحتاج للإشهار ليقبل عليها الناس، وفي الأخير فإن "الْخُسَارَةُ تُعَلِّمُ الشُّطْرَةَ" فالتاجر الشاطر ليس من لا يعرف الخسارة، وإنما من يتعلم من خسارته دروسا في الحياة، تجعله ينتفع من عثراته، ليكون أكثر حرصا وانتباها، ليتفادى أسبابها حتى لا يتوقف عن العمل خوف الخسارة لأن "الْخَايْفُ مِنَ الطَّيْحَةِ مَا يَرَكِّبُشْ"، وعلى المرء التسلح بالجرأة والعزم والتبكير لأنه يعين على النشاط حيث العقل والجسد كلاهما مهيا "اللي فاتك بالكثرة فوتو بالبكرة".

بالإضافة إلى ذلك فإن الأمثال التي تلح على العمل، تشجع على قبول شغل أجره زهيد لأنه أفضل من البطالة حيث يقول المثل "اْخْدَمْ بُصُورْدِي وَحَاسَبْ الْبَطَالُ" فالصوردي هو مبلغ زهيد ومع ذلك يرفع صاحبه إلى مقام يعلو مقام البطال، بل ويتيح له أن يتفاخر عليه، فالأجر مهما كان بسيطاً حينما يكون المرء شابا، وفي فترة تجربة، حيث يمكنه أن يرضى بالعمل مجانا، حتى يثبت مهارته وقدراته "اْخْدَمْ بَاطِلْ وَمَا تَقْعَدْشْ عَاطِلْ" ولكن ذلك لا يعني أن يقبل المرء العمل بدون أجر فالمثل يقول ادفع لي أجري وسترى عملي "اعْطِينِي انْتَاعِي نَوْرِي لَكْ دُرَاعِي".

ومن شدة حرص الإنسان الجزائري على القيام بالعمل، أن أجاز بل حث على العمل مع النصارى ويُقصد بهم المعمرون الذين كانوا يشغلون الجزائريين بأجور زهيدة، إما كفلاحين أو كعمال في متاجرهم في

المهن الحرة، ولقد كان التعامل مع المعمرين ممنوعا اجتماعيا، حيث يقول المثل "معاونة النصارى ولا القعدا خسارة".

4.4 محاربة التسول والتطفل والكسل

من بين دوافع الكسل وبطالة المرء أحيانا انتظاره الرزق من الله، وإذا كان من حق الإنسان في الإسلام الاتكال على الله ليرزقه فإنه من واجبه أن يأخذ بالأسباب، وهذا ما تحت عليه نصوص القرآن، ومنها قوله تعالى في سورة الملك الآية الخامسة عشر "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه" فالرزق مرهون بالمشي والسعي، وهذا ما يعكسه المثل الذي يأمر الإنسان بالنهوض للقيام بعمل فالله لا يرزق الكسول من العدم، لذا يقول المثل "سَبَبْ يَا عَبْدِي وَأَنَا نُعِينُكَ" "اسْعَى يَا عَبْدِي أَنَا نُعِينُكَ"، "اسْعَى يَا عَبْدِي وَأَنَا نَسْعَى مُعَاكَ" وتعدد هذه الروايات دليل على مدى انتشار المثل، فالجزائري يؤمن أن الله لا يعين إلا من اتخذ الأسباب لكسب رزقه، لأن السماء لا تمطر ذهبا، أما الكسل والتواكل فلا ينفع الإنسان، والجزائري من خلال أمثاله يدرك حدود حريته، لذا يسلم بالقضاء فيما يتعلق بالظروف المناخية، لا ليترك عمله "يا الشُّتَا صَبِي وَالرَّزْقُ عَلَى رَبِّي". لذا يقول المثل على لسان الذئب: القدر ومعه الوثبة "الذَّيْبُ قَالَ: الْمَكْتُوبُ وَمُعَاةُ تَنْقِيزَةٍ".

ومن نتائج التواكل البطالة، وهي أزمة كبيرة ينجر عنها هموم كثيرة، تمس مختلف مجالات الحياة، وهي تشغل بال الإنسان وتؤرقه ومن هنا يقول المثل أن مشقة العمل أفضل من هموم البطالة "وَجُعَ الظَّهْرُ وَلَا وَجُعَ الرَّاسُ" فالبطالة تدفع للسؤال والسؤال منبوذ في كل الشرائع السماوية "فالمهنة الشريفة تمنع صاحبها من الحاجة، وتبتعد به عن ذلك السؤال الذي نهت عنه الشرائع السماوية، إنها الحصانة عند تقلب الظروف" (عودة، 2011: 237) لذا نجد في الثقافة الشعبية الجزائرية أمثالا كثيرة تزد التسلو وتنهى عنه، لأن التعب في العمل أفضل من الحاجة للغير "شَاقِي وَلَا مَحْتَاجُ" وطلب الناس سواء أعطوه أم منعه، والمثل الموالي ينهى عن التطفل على الآخرين، فحتى الأخ لا ينفع، وحده العمل يوفر للإنسان لقمة عيشه شريفة "الْخُو مَا يَنْفَعُ الْخُو يَا وَيْحَ مَنْ خَانُو دُرَاعُو" وقد يكون المرء محروما حقا ولا يجد مهنة يقتات منها، لذا يقول المثل ألا تسول إلا اضطرارا "الطَّلْبَةُ غَلْبَةٌ" لأن "المَكْسِي بَرَزَقُ النَّاسِ عَرِيَانُ" و"حَاجَةُ النَّاسِ مَا تَبْنِي سَاسُ"، وفي هذا الإطار

ثمة مثل آخر يفسر سبب التعفف إذ يقول "كَلَمَةُ أُعْطِينِي مَا خَلَّاتُ حَدَّ يَبْغِينِي" فالناس يملون من مساعدة الكسول والمتواكل، وحتى إن أعطوه فإنه لن يجد حلاوة "اَنْتَاغُ بَلَّاشْ مَا يَخْلَاشْ".

لذا ليس في الأمثال سخرية إلا من الكسول الذي لا يسعى لكسب رزقه، ف "بقدر دعوة المثل إلى العمل فإنه سخر بنوع من التهكم من أولئك العاطلين عن العمل الذين ليس لهم ما يعتاشون عليه" (عودة ، 2011: 238)، وتظهر الأمثال الموالية المعايير التي تدل على الإنسان الكسول سواء أكان رجلا أم امرأة، فالمرأة التي تقول أنها مسحورة إنما تتعلل وتدعي ذلك لأن الحقيقة التي تريد إخفاءها تكمن في كونها لا تحسن العمل "إِلِي خَانُوَهَا يَدِيهَا تُقُولُ بِيَا السُّحُورُ" هذا مثل آخر يتهكم ممن ينتظر دعوة جيرانه للعشاء فلا يعد طعام عشاءه ذاك يؤكد له المثل أنه سيبيت جائعا "إِلِي اَنْكَلْ عَلَى جَارْتُو يَبَاتُ بِلَا عَشَاءَ" ، ومثل غيره يسخر من كسل المرء الذي يستعين بغيره لعمل بسيط كحلب شاة، حيث يجتمع اثنان للقيام بعمل كهذا، أحدهما يمسك الإناء والثاني يحلب "بِي يَحْلَبُ وَبِي يَشُدُّ الْمَحْلَبُ".

وترسم الأمثال صورا كاريكاتورية للكسالى حيث تبرز معايير الكسل، فالمرأة الكسولة تدل عليها أدواتها المنزلية "سَبْعُ نِسَاءَ وَالْقَرْيَةُ يَابِسَةٌ" والقربة وعاء جلدي كانت المرأة قديما تملؤه ماء لتبريده، أو لبنا لخضبه، وإذا جف الجلد ويبس فلأن المرأة صاحبة البيت لم تستعمله منذ فترة طويلة مما يدل على كسلها، ومن تناقضات الكسول أيضا أنه يتظاهر بالعمل في بيوت الناس "فِي عَرَسُو نَعَّاسٌ وَفِي عَرَسِ النَّاسِ رَقَاصٌ"، كما أنه من صفاته كثرة الكلام لأن العامل ينفق جهده في عمله "كَثْرَةُ الْكَلَامِ مَن قَلَّةُ الْجُهْدِ" ، وهذا مثل آخر يؤكد معنى ودلالة المثل السابق، فالكسول كثير الأكل كثير الكلام "الْفُومُ مَاضِي وَالْجُهْدُ فَاضِي" ، ومثل آخر يتهكم من الكسالى، حيث يدعوههم للاستمرار في كسلهم والنتيجة أنهم لن يجدوا شعيرا لأنه لا ينبت بدون جهد وعمل "اقْعُدُوا يَا حَمِيرُ حَتَّى يَنْبَتَ لَكُمْ الشَّعِيرُ"، وثمة مثل يذكرنا بمورده بحكاية النملة والصرصور "كِي كُنْتُ أَنَا نَطْمَرُ كُنْتُ أَنْتَ تَزْمَرُ رُوحُ ضُرْكُ تَشْطَحُ" ، ولكن أبطالها من البشر، فالكسول الذي يتضور من الجوع يطلب شيئا من الطعام ممن شقي وخزن مؤونته، إلا أن هذا الأخير يرد عليه بسخرية حينما كنت أطمر مؤونتي كنت تعزف المزمار فاذهب لترقص الآن.

وقد تفتن الوعي الشعبي لبعض الناس الذين يتظاهرون بقلّة الفهم والجنون، لأن الناس يطعمون ويتصدقون على المجانين، فيتطفلون على غيرهم أوقات الطعام "رَدْ رُوحَكَ مَهْبُولُ تَشْبَعُ الْكُسُورُ" حيث يقول

المثل تتظاهر بالجنون لتأكل حتى الشبع من غير جهد، من هنا دعا المثل إلى العمل فبه يعتاد الإنسان على عدم الاتكال على الغير وعدم الحاجة إليه، بل ثمة دعوة للإنسان ليكون هو من يساعد ويقدم المعونة للغير، لذلك المثل يقول "اليدُ الّلي تَمُدُّ خَيْرَ مَنْ الّيدُ الّلي تُشَدُّ" فاليد التي تتفضل وتعطي خير من اليد التي تتلقى الصدقة والمعونة.

5.4 العمل وتفادي الدين

ومن نتائج البطالة وعدم الاشتغال الاستدانة، التي عرفها الجزائري خلال سنوات الاستعمار وجرب مرها، فقد مر الإنسان الجزائري خلال الوجود الاستعماري بسنوات قحط كانت تدفعه للاستدانة، وكانت الديون المتكاثرة إحدى وسائل الإدارة الاستعمارية لتجريده من ممتلكاته وأراضيه خاصة الخصبة منها، وهذا ما أنتج عدة أمثال تحذر من الاستدانة وتقنها بل وتقدم استراتيجية التخلص منها، ففي دوافع الاستدانة يقول المثل "سَلَفْ وَأَزْرَعْ وما تُسَلِّقْشْ وَتَبْلَعْ" إنه مثل يقيد الاستدانة بالعمل، فالمرء لا يحق له اللجوء إلى القرض إلا إذا كان الهدف منه هو العمل والاستثمار، وإذا اضطرت الظروف للاستدانة عليه أن يحسن الانفاق حتى يتمكن من رد قرضه، فلا ينفق ماله في الكماليات، كأن يستغني عن أكل اللحم "بَاتْ بِلَا لَحْمْ تَصْبُحْ بِلَا دِينَ"، ولتكن ملبوساته من النوع العادي "التُوبُ جُرِيدِي والغُشَا كُرِيدِي" وبهذا يسدد الإنسان دينه، ويتمكن بعدها بأن يأكل حتى الشبع "اللي خَلَّصْ دِينُو شَبَعَ".

ويحتاج حسن الإنفاق إلى خبرة فهو من معايير سداد الرأي، وحسن العمل، والأمثال الشعبية الجزائرية تعلم شروط حسن الإنفاق وتبين منهجيته مما يدل على وجود وعي واستراتيجية واضحة المعالم في الإنفاق، فسواء أعلق الأمر بالبذل أم بالإمساك، فإن هذه الاستراتيجية تدل على أنها ثمرة قرون من حياة الأزمات والحرمان، لاسيما خلال الفترة الاستعمارية، التي علمت الإنسان التقتير، فللإنفاق حدود لأنه على المرء التحسب للأزمات، فالادخار واجب لوقت الضيق "الْحَدَايْدُ لِلشَّدَايْدُ" لذا على الإنسان أن يعتدل في نفقاته "اللي ما رَقَّعَ ما لُبَّسْ"، ولكن لا بد أن يكون داخلا في حسن الإنفاق، لأنه إذا تجاوز حده صار بخلا وهو عيب كما يؤكد على ذلك المثل القائل "جَزَاوُوعْشَانُو لَفْتُ" فالأمثال تعيب على الإنسان البخل، الذي يجعله يعيش في حرمان، ثم ينتفع غيره بأمواله "ذَرَاهُمْ الْمَشْحَا حَايَا كُلُّهُمْ الْمَرْتَاخْ".

وهكذا ندرك أن رصيد الأمثال التي تحت على العمل أوفر، كما "لم تكن نظرة المثل الشعبي إلى هذه المهن على أنها لها علاقة بالدخل المادي أو الموارد الاقتصادية فقط بل نظر إليها بشيء أقرب إلى القدسية" (عودة ، 2011: 237) حتى أنه يمكننا أن نقول ألا وجود للأمثال تدعو للكسل، فالمهنة الشريفة "هي التي تساعد على بناء شخصية الفرد العامل، فالمجتمع نظر إلى العاملين نظرة فيها من التقدير والاحترام الشيء الكثير، لأن العمل عنصر مهم، من عناصر بناء الشخصية، على درجة ، والعمل شرف، وهذا فهمه المثل الشعبي، بغض النظر عن نوعه، في الوقت الذي دعا فيه إلى العمل في أي شيء لا يسيء إلى صاحبه وفي أي وقت أيضا، كي يظل الفرد مستقلا بنفسه بعيدا عن احتياج الآخرين " (عودة ، 2011: 238)

وهذا عامل من عوامل انصهار الفرد في المجتمع، وفي تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وليتحقق هذا الانصهار لابد أن يتمثل الفرد قيم مجتمعه وعاداته، ويؤدي وظائفه ولا يتم ذلك إلا بفضل التنشئة الاجتماعية، وإذا كانت المجتمعات الحديثة تحقق هذا الاندماج بفضل التعليم والإعلام... ومختلف المؤسسات الثقافية فإنها لا تنفي دور الثقافة الشعبية في ذلك، وهكذا ندرك أن الأمثال تقوم ببعض مهام كثير من المؤسسات الثقافية الحديثة.

إن الأمثال من خلال النماذج التي وردت في هذا البحث تعمل على تحقيق اندماج النشء، والشباب خصوصا، من كافة النواحي الاجتماعية ومحاربة التهميش والانحراف. من خلال:

الاندماج الثقافي: رأينا من خلال الأمثال السابقة أنها تكسب الأفراد مجموعة من القيم وتعمل على جعلهم يعتقدون في صلاحيتها كما تنقل إليهم مجموعة من المعارف المرتبطة بالمهارات.

الاندماج الاجتماعي: تعمل تلك الأمثال أيضا على جعل الأفراد يتفاعلون مع المجتمع داخل الأسرة وخارجها من خلال أداء واجباتهم

الاندماج النفسي تدفع تلك الأمثال الأفراد إلى التكيف مع المجتمع

الاندماج البيولوجي إذ تعلمهم الطرق المقبولة اجتماعيا لتلبية غرائزهم من طعام وزواج

نلاحظ أن " هذه النصوص إذن عبارة عن شواهد ثقافية على القيم السائدة كالعادات والتقاليد والأعراف وتقوم بدور الموجه الام للسلوك أو هي دستور للعلاقات القائمة بين الأنساق الثلاثة في المجتمع وهي

الفرد والجماعات كوحدات والمجتمع ككل، وهي في النهاية تعبر عما ينبغي أن يكون بشكل عام، ولذلك فهي تقوم بدور توجيهي بالنقد أو السخرية أو التحذير، وباختصار فهي المدخل الحقيقي لدراسة الشخصية ... ونحن نؤكد أن الثقافة السائدة هي المدخل الحقيقي إلى معرفة أبعاد الشخصية" (شعلان، 2003 ج: 4: 13). 14. 15).

5. الخاتمة

من خلال ما سبق نستنتج أن:

- الأمثال هي خلاصة تراكم مجموعة من الخبرات وسلسلة من التجارب الناجحة والفاشلة، وفي الحالتين تعمل الأمثال على جعل المرء يستفيد منها، وإذا كان ثمة تناقض في محتوياتها أحيانا، هذا لأنها مرتبطة بسياق مجتمعي آني، فالوعي الشعبي في عمومها ليس متناقضا إنما المثل تاريخي أي أن استجابات الناس متفاوتة حسب المراحل التاريخية المختلفة، وحتى أن التناقض في بعضها تناقض ظاهري فقط، فالتجارب الفردية متغيرة، وكل مثل يعبر عن تجربة بعينها، وهي تجارب متكاملة لأن الاستثناء فيها يثبت القاعدة، إذن ليست الأمثال ذات موقف أخلاقي متناقض فيما يخص العمل، بل إنها تتضمن موقفا ثابتا في الغالب وفلسفة واضحة ومتكاملة، يغلب عليها الكثير من الجدية.

- هذه الأمثال قديمة متوارثة تقدم لنا فكرة واضحة عن الجذور الثقافية والاجتماعية، وتداولها في الوقت الراهن يعمل على توثيق الصلات بين الأجيال وتقريب وجهات النظر، إذ لم تتضمن الأمثال إحداثيات تتعلق بزمن معين، أو مكان محدد، أو بفترة خاصة، أو بعمل محدد غالبا، فهي أمثال تدور حول موضوع واحد هو العمل لذا هي تشمل جميع الفئات دون استثناء، النساء الرجال، التجار والفلاحين وأصحاب الحرف، وحتى تلك الأمثال التي نجد فيها بعض التحديد، فهي تهتم على الخصوص بتلك النشاطات الشعبية الشائعة في المدن، أو الأرياف، كالتجارة الصغيرة، حيث ترصد حركة البيع والشراء وما يرتبط بها، وأيضا الحرف الشعبية، أما الفلاحة التي تهتم بها الأمثال فهي الفلاحة التقليدية وما يرتبط بها من عناصر كالحيوانات.

- هذه الأمثال هي حكمة ومعرفة الفئات الشعبية، وثمرتها تجاربها، أذاعتها عن طريق التداول، وهي تحمل فلسفتها في الحياة، وهي فلسفة فيها روح التحليل والتأمل وإن كانت قليلة إذا نظرنا إليها جزئيا، فالأمثال تعتمد على الإيجاز لذا فهي تختصر مواقف من الحياة.

- هذه الأمثال هي إحدى النوافذ التي يطل منها الباحث لاكتشاف نفسية الشعب الجزائري ونظراته للعمل، وعلاقته بالدين والقدر، كما تسمح له بدراسة تأثير القيم الثقافية والاجتماعية للمثل الشعبي، ودوره في تشكيل الوعي لدى الأفراد والجماعات وضبط وتوجيه السلوكيات.

قائمة المراجع

- أرفون هنري (1989) فلسفة العمل، ترجمة عادل العلوا، منشورات عويدات بيروت - باريس، ط 2.
- أبو سنة محمد إبراهيم (2009) الدار الثقافية للنشر، القاهرة مصر، ط 1.
- بدوي أحمد زكي (1982) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان بيروت.
- بورايو عبد الحميد (2007) الأدب الشعبي الجزائري دار القصة للنشر.
- تيمور أحمد (1956) الأمثال العامية، مطابع دار الكتاب العربي مصر، ط 2.
- الزري حميد ناصر (1998) مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
- شعلان إبراهيم أحمد (2003) موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة، دار الآفاق العربية، مصر، ط 1، ج 1.
- شعلان إبراهيم أحمد (2003) موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة، دار الآفاق العربية، مصر، ط 1، 2003، ج 3.
- شعلان إبراهيم أحمد (2003) موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة، دار الآفاق العربية، مصر، ط 1، 2003، ج 4.
- شعلان إبراهيم أحمد (2003) موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة، دار الآفاق العربية، مصر، ط 1، 2003، ج 6.

- عودة أحمد عبد الحميد (2011) الأمثال الشعبية الفلسطينية قراءة معاصرة، ط1، دار

دجلة عمان، الأردن.

- العيسوي عبد الرحمن (1985) سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي

الإسكندرية مصر.

- همشري عمر أحمد (2013) التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان،

الأردن، ط2.

- Bencheneb Mohamed (2003) Proverbes de l'Algérie et du Maghreb, Ed Maisonneuve et

Larose.

المجلات:

- ديلمي فطيمة (2020) المثل الشفوي بين الفردية والجماعية، مجلة الدراسات الثقافية

واللغوية والفنية، الصادرة في برلين عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية

الاقتصادية والسياسية، العدد 14، أوت ، المجلد 4، ص ص 247- 264 ورابطه على الشبكة:

<https://democraticac.de/?p=68526>